قصة

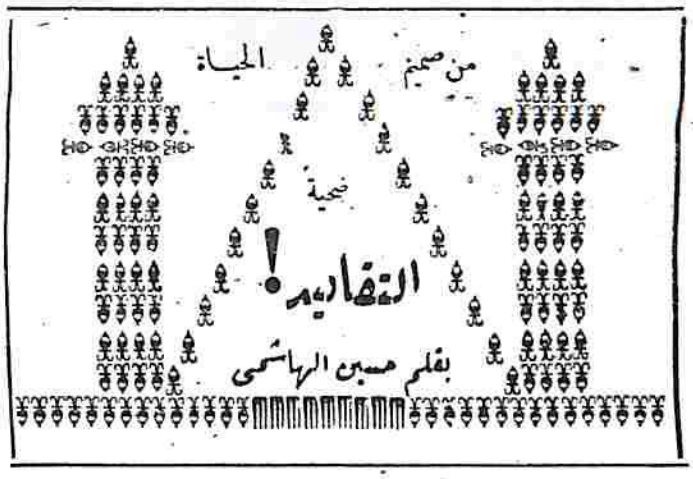

الى الذي هجر اخوته واصدقائه ومسقط رأسه وسكن في الجبل الأشم لبنان ليجد بعض العزاء والسلوى عما فقدمن حياته المليئة بالمصائب والآلام اهدي هذه القصة

في الشرق تقاليد موروثة سارت سير الدماء في شرايين حياته وثبتت ثبوت النفسيات في طبيعة محيطه، فلا العلم الذي استنار به اخوه العالم الغربي تمكن ان ينير له عقله، ولا الشعور الذي شعر به ذاك تمكن ان يهذب قلبه ويرقق عاطفته امام امه الحياة وجدته الطبيعة.

أي شيء في هذا الكون العظيم لم يأخذه الحب في عالمه المقدس ويسكب عليه قبساً من روحه العلوية؟.. النجوم تذوب كما تذوب الشمعة امام هالة القمر تحت تأثير حرارة الحب والندى يتساقط عند الفجر، خلسة على أفواه الورود، يقبلها خفية الحاسد والرقيب، ومياه الانهار تنساب كالافعى لتعانق حبيبها الشاطئ المستهام، واوراق الشجر تنشد انشودة الحب بحفيفها امام خطرات حبيبها النسيم.

هذه الاطيار اما تكون لابن الشرق قدوة في حبها السامي للحياة تتعانق علناً، وتنشد اغنية الحب جهراً، فالفها الحب، وكون منها جماعة تستحق الحياة والخلود، تستحق الجمال والتسامي..!!

ألم تكن قوة الرجل خلقت لتسكب على ضعف المرأة شيئاً من جبروت الحياة ألم تكن نعومة المرأة خلقت لتسكب شيئا من جمال الطبيعة على خشونة الرجل؟ الم تخلق ابتسامة المراة لكي تخفف شيئا مما تحسن به عبوسة الرجل امام مرارة الحياة وشقائها؟ وساعد الرجل المتين الم يخلق ليمتنق قوام المراة اللين فيحميها من عاصفات الحياة وانواء الطبيعة الهوجاء..؟

ان الطبيعة لم تخلق القمر الا لتكلل به رهبة الليل، ولا الشمس الا لتحبب بها الحياة، ولا المراة الا لتسير مع الرجل كتفاً للكتف في سبيل الخلود والراحة والحياة الجميلة فالمرأة لوحدها مرأة، والرجل لوحده رجل، والمراة مع الرجل هما اللذان يمثلان الحياة والطبيعة، يمثلان العالم المقدس الذي خلق من الرجل امراته وخلق المراة رجلها!!..

استنار عقل حكمت بهذه الآراء التي قدمتها له المدنية، وبقي يفتش عن المراة، ولكن اين عنه هي؟

والذي زاد حنين حكمت قراءته بشوق ولذة القصص الوجدانية والروايات الغرامية، وكم كان يحترق جوى عندما يصف جمال موقف محروم منه ويذوب حسرة عندما يقرأ خيال اثر وقوع قبلة في قلب عاشق لبعده عنها، غير انه لم ييأس وان كان يحس بطبيعة محيطة بل ذهب يفتش عن التي تشاركه العالم المقدس، وتسكب على فيه خمرة الخلود، واخيرا عثر عليها وليته لم يعثر..!!

ليلى غادة قد اكتملت انوثتها وهي في اول عقدها الثاني من العمر، جارة له، طالما كانت تسمع من امها بانه انجب شباب الحارة، كما كان حكمت يسمع من امه بان ليلى اجمل وانجب بنات الجيران، فكان في قلب كل منهما حنين الى معرفة رفيقه، وهكذا نشأ الحب في قلبيهما خافت الضوء، بطيء الحركة، ناعم الروح، لان محيطها كان لايسمح لهما اكثر من ذلك، الى ان سنحت الفرصة لهما في اللقاء الاول.

فقدت ام ليلى عصر يوم دجاجتها الغالية التي كانت تحبها حبا لاينقص عن حبها لليلى، وقلقت لفقدانها وصارت تتهم الجيران على سرقتها، ثم طلبت من ليلى ان تجول البيوت المحيطة بهم علها تعثر على خبر لها او تسمع صوتا منها وهي

مخفية في قفص السرقة ، دارت البيوت ، حتى وصلت الى دار حكمت فرأته واقفا بالباب وقد مسك جداريه بساعديه بتنظر صديقه ، اهذا هو حكمت ..؟ ان كان هو فيا لجمال قامته الهيفاء وابتسامته اللطيفة ، ولكن ربما لم يكن حكمت . لتسأله تقدمت منه وقالت بصوت اخفاه اضطراب القلب :

ـ حكمت .. ؟

ـ نعم .. من انت ؟

ليلى بلت جارك جعفر

ولم يسمع رقة صوتها وتلعثمها الا واحس بما احست به ، فقال لها وقد ارتعش جسمه وسقطت يداه .

ـ طيب ... ماذا تريدين ..؟

ـ احب ان اسألك هل لامك خبر عن دجاجتنا الضائعة ؟

ابتسم ثم قال لها :

ـ اتمنى ان تجديها لكي تتخلصي من عناء التفتيش

فقالت من دون ان تملك زمام شعورها :

ـ واذا لم اجدها الم اكن الرابحة بهذا التفتيش الذي اضنائي بعد ان وجدتك انت ..؟ ثم دخلت ، وبقيت كلمتها الاخيرة ترن في اذنه وتفعل مفعولها في قلبه ..

وجدتني .. ؟

ماذا تقول هذه الفتاة ..؟ وهل كانت تفتش عني ام عن الدجاجة ..؟ وما الذي جعلها ان تقول هذا التصريح الذي اذهلني وماذا تريد مني ، وماذا يعنيها من امري ..

ثم راح يداعب اطراف اصابعه باطراف اصابع اليد الاخرى الى ان احس بهزة في ظهره ، التفت وراءه فرأى ليلى وقد اسفرت عن وجهها فاذهله جمالها ، وقد ابتسمت . . . وقالت بحياء . ؟

ـ حكمت انني احبك منذ زمان .. نعم احبك فهل سترضى بحبي .

ـ تحبينني ..؟

ـ اجل .. ولاتقل انها ساقطة ، فالحب يجل عن السقوط الم احب اخي ؟ الم احب ابي ؟ وانت اذا احببتني ماذا يكون ؟ الم تحب شقيقك ؟

صار حكمت يلتقي مع ليلاه ، خلسة في الطريق ، وخفية في حدائق المدينة واطرافها عندما تخرج من دارها لزيارة خالتها كما تزعم ، وزاد الحب بينهما تأثيراً ، وصارا يحسان بأثره واضحاً بيناً ولكنهما ماذا يفعلان وقد صرحت له ليلا بان والدها يقول بانها لابن عمها جواد الذي هو الآن في سنته الرابعه عشر ؟!

لم تكف حكمت هذه الزيارات ؟ ولم يبق متمكنا على فراقها ساعة واحدة ، بل صار بتأثير طغيان الحب يتعشى دائما في الزقاق بين دارها وداره ليسمع صوتها وليسمعها صوته وهي ؟ لقد كان تأثير الحب بها لايقل عن تأثيره به ؟ كانت لاتسمع صوته حتى تخرج الى الحارة بلا شعور لكي تراه ، وتعدى الامر هذا ايضا فصارا يتكلمان في الزقاق بلاخوف من الوشاة الفضوليين الى ان حانت ساعة الفراق على حين غفلة من السعادة التي كانا ينشدانها .

رآهما احد ابناء الحارة ذات ليلة يتكلمان ، وهو في زاوية مظلمة بعيدة عن ضياء المصباح الكهربائي ، وماذا كان يعنيه من امرهما ؟ لايعنيه شيء من ذلك الاسقوط تربيته ورذالة نفسه ، لقد تابعها حتى عرفها ابنة من ، ورجع على حكمت ونظر في وجهه حتى تبينه ؛ وفي الصباح وضع في البريد رسالة الى ابيها رسالة يرثي بها عفاف ابنته ليلى وحزنه عليها لأنه جثرها ..!!!؟

اي سقوط احط من هذا السقوط ؟ ماذا يعنيه من امر هذه الجارة التي لو تقدمت اليه لما ارتد عن عناقها في وسط الشارع المزدحم ؟ وهل اخذته الغيرة ام الحسد ؟ انها الغيرة المصطنعة في نفوس الانذال امثاله بدوافع الحسد ليس الا !

بقيت ليلى سنة كاملة وهي لم ترعتبة الدار ، حتى مرضت مرضا لم يتمكن الاطباء على تشخيصه وذهبت اتعابهم ادراج الرياح ؟ وكيف يتوصل طبيب الاجسام الفانية الى معرفة امراض القلوب الخالدة السامية !!؟

وبقي حكمت هذه السنة ، اسير الضعف والانحلال ، علت الصفرة وجهه الشاحب ، وقضت العبوسة على ابتسامته الجذابة ، وفتكت بخفة طبعه النحوسة والكآبة ، وان تكن ليلى محرومة من آثاره لانها ما كانت تملك الا تصويره وقد

مزقته خوفا من سكين والدها الغيور على مايزعم هذا المخلوق الوحش ، فانه كان يملك من آثارها المناديل المطرزة بانامليها الرقيقة ، وباقة الزهور التي قدمتها له في عيد الربيع (اول السنة) لقد مزقت الدموع مناديلها ، وهشمت الشهور اوراق ورودها ولكنه كان يحافظ عليها كل الاحتفاظ ، ويغار حتى على الذرة الصغيرة منها من ان تسقط على الارض بعد ان يفتح العلبة الصغيرة التي وضع بها فتات تلك الباقة . وان كانت ليلى تتحمل آلام انقطاع اخباره عنها وهل رافق سواها ام بقي على العهد معها فوق آلام مرضها ، فانه كان يجد السلوى والعزاء من رفيقه الدكتور حسين الذي كان يزوره بين الفينة والفينة فيسمع منه ما به الاطمئنان على حياتها وتقرب صحتها الى الشفاء ...؟

***

دخل حكمت داره لتناول طعام الغداء ظهراً فراى امه مذهولة ؟

ـ مابك يا اماه ؟ .. اجابته :

ـ لقد ماتت ليلى المسكينة بالسكتة القلبية ؟

ـ وهل شيعوا جثمانها لمرقده الاخير ؟

ـ نعم .

« وهنا نزلت الدمعة من عيني حكمت . فقال قبل ان يمسحها »

ـ واين دفن جسدها الطاهر ؟

ـ الطاهر ؟ وماذا يعنيك ؟ وهلا سمعت بان اباها قد صرح لابيك بمنعك عنها والافالمسكين . . اسكت يابني اسكت ، ماتت ولك ابنة عمك الصغيرة وهي لك شرعا وعرفا .

ـ هذه سفاسف ؟ اين دفنت .؟

ـ في المقبرة قرب مقبرة عائلتنا .

وبعد نصف ساعة كان حكمت واقفاً على قبر الشهيدة يمسح من عينيه الدموع بمناديلها وينثر على قبرها رماد الحب الذي به رائحة وروده العبقة !!

وفي مساء كل يوم وبوقت معلوم كان حكمت الذي اذهلته المصيبة يسمع كلمة « ليلى .. » ترن في آذان قلبه فيسير الى قبرها حاجا وقد انحنت ظلوعه وهو يقول :

ليلى ...

مناد يدعى ليلى خفف له . .

ولكنه يذهب اليها بلا ورود وبلا مناديل حيث احرقهما الدموع واتلفها الزمن

الكاظمية

حسين الهاشمي

من حقيبة البريد

الى الشاعر الكبير

الاستاذ السيد أحمد الصافي النجفي المحترم

بعد فائق احترامي :

سيدي بينما كنت اقرأ في ديوانك (الامواج) اذ لاحت لي اربعة ابيات بعنوان (الهم الوفي) وعندما قرأتها وجدتها تفيض لوعة واسى فتألمت كثيراً . واحسست ان زناد فكري قد اشتعل وانه يريد ان يرسل لهيبه على هذه الابيات ليزيدها التياعا ، عند ذلك احببت تخميسها فخمستها .

فتقبلها ياسيدي من شخص قد هده الالم ولكن الله ارسل اليه (الشعر) وسيلة لتخفيف ما به

لاتلمني ان اصبح الدمع نهرا ... ان مابي من العذاب مضرا
فدع العذل ان عذلك نكرا ... لي بهم اضحى بقلبي مغرى
لم يدعني في يقظتي ومنامي

انا اصبحت من همومي فان ... بعد ما كنت في تمام الكيان
فهو هم قد بات بين الحنايا ... ليس يجلوه لا رنين الثاني
عن فؤادي ولا كؤوس المدام

لست ابدي اي ارتهاب وخوف ... من همومي سوى انخذالي وضعفي
فهو هم عن صحبتي ليس يعفي ... فاذا طرت طار في الجو خافي
واذا ما خطوت خط امامي

انا من همي في عذاب سقيم ... اينما قمت او سكنت يقيم
واذ همت فهو جنبي يهيم ... فكأني له صديق حميم
وهو لي صادق الهوى والغرام

المهموم

(الصافي الصغير)